وغبريال رفيقي تبعناك حين كانت امك تتلق بك وانا سألت الله من أجلك حتى أعطاك هذه النعمة والخيرات الكثيرة انا هو ميخائيل الكائن معك حين وضعك الغنيّ في الزقّ وارماك (ورماك) في البحر واصعدت بك وخلصتك . انا هو ميخائيل الذي ظهرتُ لك في الطريق وغيّرت رسالة الغني بكلام جيّد لان كان فيها كلام ردي يقصد بك هلاكك . والآن انا اوصيك بهذه الارمسلة التي هي جانبك احذر ان تتخلّى عنها فهي امك التي ولدتك من احشائها وهوذا انا اكون معك الى يوم وفاتك . ولما قال له هذا اعطاه السلام وتوارى (fol. ٤٦ v) وصعد عنهُ الى السماء وهو ينظر اليه

المختار في كشف الاسرار

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة ما سبق)

اردف الجوبري بالفصل الذي خصّهُ بشعوذة الكيمويين فصلًا اخر كشف فيه اسرار العطّارين وروى لهم ضروبًا من الحيل تذكّرنا بما نشرته مجلّتنا في العام الماضي عن مكرهم (١١ : ٥٨٠ — ٥٩٤) نقلًا عن كتاب نهاية الرتبة في الحسبة لابن بسّام. فاثبت الجوهري غش العطّارين للاهليلج والاورد والزنجبيل والعود والمسك والعنبر. قال في غشهم للمسك:

اضم يأخذون اقراخ الحمام المجبولة لما تنفس ويزرّقوها بكباش القرنفل ويسقوها ماء ورد مضافًا اليه الحلب والسنبل . يفعلون ذلك سبعة ايام ثم ياخذون جام زجاج يدهنونهُ بدهن البان ثم يذبحون فيه تلك الافراخ ويصفّون دمها ويخمرون عليه من البار فاذا جفّ اخرجوه من الجام واضافوا اليه مثل نصفه مسكًا خالصًا . ثم يسحق الجميع على الصلاية ناعمًا ثم يأخذون ناقوسة فارغة ويحشوها من ذلك المسحول ثم تلصق الناقوسة بصمغ عربي ويلصق معها من شعر الناقوسة ثم يبيعونه وهو احسن ما يكون مما وجدتهُ في عمل المسك بعدما عرفتُ فيه ستّ طرائق فافهم ذلك

وقال في غشّ العنبر:

وذلك اضم يأخذون حبّ العصفر وينقعونهُ في ماء الورد يومًا وليلةً بعد تزعيه من نواه . فاذا كان من الغد مرسوهُ باليد حتّى يطلع ثفرهُ ويبقى اللحم ثم يعملونهُ في الصلاية ويلقون عليه العنبر ويسحقونهُ بماء الورد الذي نُقع فيه ولا يزالون يسحقونهُ حتّى تنقطع الدبوقة فاذا انقطعت حدوهُ بدهن البان الحام ثم يسقونهُ من ثفر الجوز الاخضر شيئًا يسيرًا ثم يعملون مثل ربعه عنبرًا خامًا ثم يجعل في وعاء زجاج ضيّق الراس فيسدّونهُ سدًّا محكمًا ثم يعملونهُ في مكان ندي اربعين يومًا ثم

يفتحونهُ فيجدونهُ قد أشعب وصار اشهب وهذا احسن ما وجدتهُ بعد معرفة ثلاثين طريقة

وكما احتالوا في غشّ العنبر كذلك تقلّدوا اللازورد قال الجوبري:

ياخذون قشر البيض المكلّس ويلقون عليهِ حشيشة الصبّاغين وتسمّى الوشيمة وتسمّى العنبر ثم يلقون عليها ماء النيل الهندي السراوي (ويروى البصروي) فانهُ يعود لازورداً جيداً وهذه الطريقة أعرف منها ٤٢ (ويروى ٤٨) طريقة مختلفة الانواع ولو ذهبتُ اذكر كل ما اعرف لما وسع كتابي ذلك بل اختصرت بالبعض ليستدلّ على الكل من لهُ لب وعقل صائب

ويقرب من هذا الفصل فصل كشف اسرار الجوهريين وهو الثاني عشر في نسختنا والرابع والعشرون في نسخ أخرى وقد قسمهُ الجوبري احد عشر باباً على اختلاف الجواهر المغشوشة نذكر منها امثلة لفائدة القرّاء. قال في تقليدهم للدرّ والجوهر:

اعلم انهم اذا ارادوا عمل الدرّ وهو اللؤلؤ حقّ لا ينكر انهُ معدني فانهم يأخذون من اللؤلؤ الصغار ومن الصدف الجوهريّة فيثقبونهُ ويثقبونهُ من جميع السواد الذي عليهِ من خارج ثم يسحقونهُ بالغاً ويلقونهُ في ماء الحمّاض من الانترج يعني يحاوِنهُ فاذا اخذَّ وصار مثل العجين يلقون عليهِ من غراء الحلزون ومنهم من يضيف اليهِ الطلق المحلول ومنهم من يضيف اليهِ الزجاج الميت (ويروى: القرار المشبب) المطهَّر ويكونون قد عملوا ماسّةً من الفضّة صغيرة فيأخذون جزءاً الدواء بمقدار ما يريدون ان يكون قدر اللؤلؤة ثم يعملونهُ في قشر بيضة ويدلكونهُ فيها حتى يسكن. فاذا صار كما يريدون يجفّفونهُ في الظلّ ويمترزون عليهِ من الغبار فاذا جفَّ قليلاً اخذوا لهُ شعرة من الحرير فيثقبونهُ بها ثم يتركونهُ حتى يجفّ جفافاً ثم يعقدونهُ. (ثم وصف عقدهُ بقولهِ:) انهم يعملونهُ في إلعجين ويلقّمونهُ لطير حمام اسود ثم يذبحونهُ من الغد. ومنهم من يلقّمهُ لطير دجاج اسود. ومنهم من يلقّمهُ لطير اوزّ يحترز عليهِ من اكل شيء في ذلك النهار الى اليوم الثاني فيجيء. ومنهم من يجعلهُ في شحمة دجاجة ويلقون عليهِ من الاطلس الاحمر ثم ياخذ قرخ سمك طري كما خرج من الماء فيثقّفونهُ ويشقّون جوفهُ ولا يتركون فيهِ سوى المفيخة التي في جوفهِ ويسوّطها الوزّامة فيشقّوطها ويودعون ذلك فيها ثم يردّوطها الى جوف السمكة ويخيطون السمكة ثم يعملوطها في طاجن ويجعلون الطاجن في الفرن حتى تسوي ثم يرفعوطها ويخرجون المعمول فانهُ يصير لؤلؤاً جيداً مليحاً

وأتبع ذلك بفائدة في جلاء اللؤلؤ قال:

واذا خرج في اللؤلؤ صفرة او جرب فانهم يأخذون ماء الليمون ونشارة العاج ثم يبلّون بماء الليمون خرقةً تكون رفيعةً ويعملون فيها نشارة العاج مع اللؤلؤ ثم يدلكونهُ دلكاً جيّد فانهُ يعود احسن ما يكون من النقاء الابيض فافهم ذلك

وقال في تقليد الياقوت الاصفر:

اذا ارادوا ذلك فانهم يأخذون من البلّور ما ارادوا فيدقّونهُ ويذيبونهُ في مقرعة (ويروى:

مغرفة) نقيَّة اخذوا من الزعفران جزءاً ومن القيسا (؟) جزءاً فياقوتا على ذلك البلور ثم يطرحونهُ على بلاطة فانهُ يعود ياقوتاً اصفر لا يكون شيء احسن منهُ فيقطعونهُ كما يريدون ويبيعونهُ باوفى الاثمان

عمل الياقوت الاخضر:

يأخذون من البلور ما ارادوا فيذيبونهُ ثم يأخذون من الزنجار الحمصي جزءاً ومن النيل جزءاً ومن الحبَّة الخضراء جزءاً ويدقّون الجميع ثم يطرحونهُ على ذلك البلور فانهُ يعود ياقوتاً اخضر لا يكون احسن منهُ

عمل الياقوت الازرق:

يأخذون من الياقوت الاصفر ما ارادوا ويحملونهُ في بودقة ويحملون من تحتها النوشادر ومن فوقها ثم يطيّنونها بطين الحكمة ثم ينفخون عليها حتى تحمرّ ثم يخرجونها بعد ان تبرد فانّ الصفرة تنسلخ ويبقى حجر ابيض فيصبغونهُ بما ارادوا من الالوان فافهم ذلك

وقال الجوبري عن اصطناعهم العقيق:

اعلم يعملون العقيق وينقشونهُ ويكتبون عليهِ حتَّى ان الذي ينظر اليهِ لا يشك انَّهُ خلقة. ويعملون من ذلك اصنافاً ويغرّبون على الناس بما على قدر ما يريدون. فياخذون الاثل ويدقّونهُ ويحملون معهُ من القلى مثلهُ ثم يسقونهُ بالماء حتى يصير مثل المرهم ثم ياخذون الفص او الحجر وينقشون عليهِ ما ارادوا من النقوش والصور والتماثيل ويكون النقش حفراً حسناً ثم يحشونهُ من ذلك الدواء ويجففونهُ ثم يحملونهُ في خرقة ويضعونهُ في قدر على نار ليّنة ثم يخرجونهُ منها فاذا رأوا موضع الكتابة قد ابيضَّ بياضاً جيداً والاَّ تركوهُ ساعة اخرى يبلغ كما يريدون ثم يسقونهُ فيرى كل ما تحت الدواء قد ابيضَّ والباقي أحمر على ما كان عليهِ فافهمهُ

وقال في اصطناعهم الزمرّد:

يأخذون البلّور الصافي ويجلونهُ في قدر من حجر ثم يصبّون عليهِ من ماء الدفلى ما يغمره ويطبخونهُ بنار متوسطة حتى يخضرّ ويحسن لونهُ فانهُ يخرج احسن ما يكون من الزمرّد فافهم ذلك

ويشبه هذا الفصل ما رواهُ الجوبري في الفصل الثالث عشر من نسختنا وهو الخامس والعشرون من نسخ اخرى عن كشف اسرار الصيارفة ونمّتهم « باشدّ الناس حراماً. وأصنعهم في اخذ اموال الناس. فانَّ لهم اموراً لا يعلمها الاَّ كل دهقان لبيب مع انَّ فيهم متميزين وذوي هيبة ووقار » ثم وصف لهم ضروباً من الحيل في التلاعب بالميزان او احدى كفّتيهِ فيرجحون كفّة على اخرى او يحوّفون قصبتهُ ويجلون في داخلها زئبقاً. وكذلك العيارات والاوزان فانهم يحتالون في تخفيفها او تثقيلها بطرائق خفيَّة

كالثقاب يحشونها بالشمع وغير ذلك من اصناف الغشّ والخداع التي عاينها باسفاره فاخبر بها وهذه قصّة حدثت لهُ في الهند

قصّة الصيرفيّ الهندي المحتال

ومن اعجب مـا جرى لي في البلاد الهنديّة اني رأيت هناك رجلًا صيرفيًّا يدعى عفيف الدين كان عليهِ من الحشمة امر عظيم وجميع التجار ترد عليهِ وتودعهُ اموالهـا وتستدين منهُ . فترقّبتُ حركاتهِ وسكناتهِ فرأيت انهُ صنع شيئًا لم يُسبق اليهِ وذلك انهُ اتخذ خاتمًا بفصّ عليهِ نقش فداومتُ الجلوس عندهُ وأطلتُ النظر الى ذلك الخاتم فرأيتهُ اذا قبض الذهب من التاجر جعل فصّ الخاتم من وراء لسان الميزان من جهة الصنج واذا دفع الى التاجر ذهبهُ حوّل الخاتم الى قدّام اللسان . واللسان يلعب لعبًا زائدًا كلّما قرّب الخاتم اليهِ . فعلمتُ انّ في الخاتم شيئًا من الدكّ . ولم ازل اذكر ذلك واتعجّب منهُ وافكّر فيهِ فلم يظهر لي وجه الحقّ حتى كان يوم من الايام وانا عندهُ اذ تطـاير شيءٌ من فصّ الخاتم فنظرتهُ فاذا هو من حجر المغناطيس فقلتُ : هذا دكّ لم يُسبق اليهِ . فانّ الصيرفيّ كان اذا قبض الذهب ادار الخاتم الى ناحية الصنج فياخذ لسان الميزان اليهِ ويمنعهُ من الزوال بمقدار ما يجبّ من جذب الحجر فيكون في الوزنة زيادة مثقال واكثر . فلما علمتُ ذلك خلوتُ بالرجل وقلتُ لهُ : « والله قد درت البلاد وكشفتُ اسرار الناس فلم اجد احدًا سبقك الى هذا يا عفيف الدين ولكن بئس العفيف انت » . فلما علم اني كشفتُ سرّهُ خجل وخاف وقال لي : سيّدي الحرّ من ستر عيوب الناس ومن شيم الكرام كتمان السرّ وانّ لهذا الخاتم في يدي منذ خمس وعشرين سنة وما علم سرّه غيرك . فيا هو مني هبة اليك . فقلت : لا أطلع عليهِ احدًا في هذا الاقليم . وتمثّلتُ بقول الحريري (في مقامتهِ السرقنديّة) : فنزلتهُ منزلة الفُضَيل وسدلتُ الذيل على محازي الليل . فعند ذلك تهلّل وجههُ فرحًا ومال الى صندوق فاخرج منهُ صرّة وقال لي : يا سيدي اشتهي ان تقبل مني هذه النفقة تستعين بهـا في هذا الوقت واقسم بالله ان لا بُدّ من ذلك فاخذتها على وجه الهديّة . ولمّا رجعتُ الى منزلي فتحتُ الصرّة فاذا فيها خمسون مثقالًا (ويروى : خمسون دينارًا مسوديًّا) وصرت اتردّد اليهِ وبقيت عندهُ من اعزّ اصحابه وعرّفني بكبار البلد فصرت كواحد منهم

(وهنا نلوم ايضاً الجوبري على مصادقة ذلك الخداع بعد معرفته لدسائسه فان الصدق والانسانية كانا يقضيان عليه بان يفشي سرّهُ ويحذّر الناس من غشهِ ويمتنع عن قبول هديّتهِ)

ومن الفصول التي تفيد القرّاء معرفتها ليأخذوا حذرهم من اهل التدليس الفصل التاسع من نسختنا وهو العشرون في غيرها وهناك يذكر الجوبري ما سوّل الشيطان لبعض المدلّسين ليخدعوا الناس بالاطعمة المغشوشة فانّهم لم يدعوا طعاماً الّا زوّروهُ . وكأنهم سبقوا المكّارين في عهدنا ولاسيما في حواضر المدن وامهات البلاد حيث يغشّ ارباب الحرف المآكل بما يدسّونهُ فيها من العناصر الغريبة طمعاً في الربح . وهذه امثلة مما روى الجوبري عن باعة زمانهِ . قال في غشّ العسل :

اذا ارادوا ان يعملوا الشتيق الطيب ياخذون من التين المرّي الجيد يحملونهُ في اناء ثم يلقون عليهِ الماء العذب ما يغمرهُ ويتركونهُ حتّى يعود مثل الحلوى ثم يهرسونهُ هرساً جيدًا . ثم ياخذون التّفل ويلقون عليهِ ماء فاترًا ويهرسونهُ حتّى لا يبقى فيهِ شيء ثم يصفّونهُ على الاوّل ويرفعون الجميع على نار لينة حتى يأخذ قوامهُ . ثم يلقون عليهِ الصمغ العربي وقليلًا من الكثيراء الشقراء او الشمع الحامّ ويغلونهُ ثم يعجلونهُ في اوعية من الفخار الجديد ويتركونهُ سبعة ايام فانهُ يعود عسلًا جيدًا وقد رأيتهم يصنعونهُ من القصح والبطيخ فيجيء من احسن ما يكون . ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع اعمالهم

ووصف تقليدهم السمن وذكر طريقتين لذلك :

(الاولى) اذا ارادوا عمل السمن اخذوا من الدهن البقري السمين الجديد فيذيبونهُ ثم ياخذون جزءًا من الورس المدقوق الناعم وجزءًا من الصمغ العربي ويخلطون الجميع مع الدهن فيضربونهُ ضرباً جيدًا فانهُ يعود سمنًا اجود ما يكون من السمن

(الصفة الثانية) ياخذون دهن الالية ويذيبونهُ فاذا ذاب القوا عليهِ الحلبة المدقوقة الناعمة ومن الكثيراء الشقراء اجزاء متساوية ثم يضربونها مع الدهن ضرباً جيدًا فيعود سمنًا في غاية الحسن

وقال في اصطناعهم الزبدة :

واذا ارادوا عمل الزبدة ياخذون الحليب ويغلونهُ على نار لينة ثم يلقون عليهِ اجزاء متساوية من البورق والكثيراء والصمغ العربي وحشيشة المصطكى ثم يتركونهُ ساعة فيعود زبدًا طيباً من احسن ما يكون

وروى طريقتهم في اصطناع اللبن الخاثر واللبن الحامض قال :

هذا باب ممدوح لا يملّهُ الآكل فاضل فاذا ارادوا ذلك فانهم ياخذون من الموز الهندي فيقشرون قشرتهُ السوداء ويغرغرونهُ في القوارير ويصبّون عليهِ الماء ثم يهرسونهُ بايديهم هرساً

جيدًا حتّى اذا ذاقوهُ وجدوهُ مثل اللبن فعند ذلك يعصرونهُ عصرًا جيدًا ثم يحمون ما خرج منهُ مع الماء الذي كان فيهِ ويصفّونهُ فانهُ يصير خاثرًا كثير الدسم فيجعلونهُ في اناء ثم يكمدونهُ كما يُكمد اللبن حتى يصير حامضًا فيعود لبنًا طيبًا. ولو ذهبتُ اذكر جميع احوالهم في المطعم لطال ولم تسعهُ مجلّدات كثيرة. ولكن قصدنا الاختصار وبالبعض يستدلّ العاقل اللبيب على الكثير

هذه نُتَف ممّا رواهُ الجوبريّ للمموّهين والمخرقين واصحاب المكر والتدليس ولهُ فصول اخرى في طوائف غيرهما كالكحّالين والاطبّاء والدراويش واللصوص والذين يصبغون الحيل ويختارون بني آدم ويصبغونهم الوانًا لئلّا يعرفهم اهلهم والذين يلعبون بالنار او بالحيّات وقد ختم فصولهُ بذكر دهاء النساء النصّابات. ولولا خوفنا من الطول المملّ لذكرنا تلك الفصول بالتفصيل وفي ما رويناهُ كفاية لتعريف هذا الكتاب الفريد في جنسهِ

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

لم تبلغ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر كلهِ ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرّها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت اغصانها ومدّت في قاع الارض اصولها فلم تُعد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصًا لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سوريّة ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقّون شيئًا فشيئًا عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدّن بنفوذهم